المدخل

شبه الجزيرة العربية وأحوالها، في منتصف القرن الثاني عشر الهجري

٣. إقليم الأحساء

ويشمل الأحساء وميناء القطيف، وبلدان الهفوف والمبرز وعنك وسيهات والجشة، وغيرها. وتسكنه قبائل العجمان، والهواجر ،ومطير والدواسر، وبني خالد، وبعض بني مرة.

ويعتمد سكان الأحساء والقطيف على الزراعة. فالمنطقة عبارة عن واحات، تشتهر بغزارة المياه، التي تنبع من عيون الأحساء، فتكثر فيهما بساتين النخيل، ومزارع الأرز. ويعمل السكان، أيضاً، في صيد الأسماك، والغوص بحثاً عن اللؤلؤ. وكانت موانئها تستفيد من التجارة الداخلية، مع منطقة نجد. ولهذا، تهيأت الظروف لهذا الإقليم، لأن يفرض سلطته على منطقة نجد، في بعض الفترات.

وكان إقليم الأحساء تحت حكم أسرة زامل الجبري، من بني عامر، منذ عام ٨٢٠هـ/١٤١٦م. وتطلع العثمانيون إلى السيطرة على هذا الإقليم، لدفع أخطار البرتغاليين، عن الأماكن المقدسة. فاستولوا عليه، عام ٩٥٧هـ/١٥٤٨م . وفي ذلك الوقت، كانت قبيلة بني خالد، تزداد قوة، في منطقة الأحساء والخليج العربي. واضطرت الدولة العثمانية إلى استرضاء زعمائها، بالمال أو بالمناصب والرتب. ولكن زعيم بني خالد، برَّاك بن غُرير آل حُميد، تمكن من الاستيلاء على الأمور في الأحساء، بين سنتَي ١٠٧٤هـ/١٦٦٣م و ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م . فقضى على سلطة العثمانيين على الأحساء، حتى دخلت تحت حكم الدولة السعودية الأولى، في أوائل القرن الثالث عشر الهجري.

وينتشر المذهب الشيعي في المنطقة إلى جانب المذهب السُّني. وحققت الحياة، العلمية والدينية، تقدماً ملحوظاً. فظهر، في الأحساء علماء، من السُّنة والشيعة، اشتهروا بنشاطهم، العلمي والديني. ووفد إليها طلاب العلم من المناطق الأخرى، بمن فيهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي عرج على الأحساء، في طريق عودته من البصرة، فأخذ العلم عن بعض علمائها.

أما القبائل في البادية، فلم تكن تختلف عن غيرها، من انتشار الجهل فيها، والبعد عن الدين، وامتهان قطع طرق الحجاج، القادمين من البصرة وإيران، والفتك بهم ونهبهم.

الفصل الثالث

توسع الدولة السعودية، خارج منطقة نجد

١. ضم الأحساء

كان نفوذ الدولة العثمانية وقوتها، في الأحساء، ضعيفاً مما شجع بني خالد على العصيان ضدها، واستطاع زعيمهم براك بن عريعر آل حميد، أن يخرج الحامية العثمانية من الأحساء، ويستولي عليها، سنة ١٠٨٠هـ، فأخذ بنو خالد يتوسعون، ويمدون نفوذهم إلى الأقاليم المجاورة للأحساء، كلما سنحت لهم الفرصة. وقد وصل نفوذهم إلى إقليم العارض، في وسط نجد، في مطلع القرن الثاني عشر الهجري.

وواجهت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، معارضة من بني خالد، في الأحساء. ورأوا في قوة إمارة آل سعود، التي برزت بعد اتفاق الدرعية، قوة جديدة، تضر بمصالح بني خالد، في نجد، وبخاصة المصالح الاقتصادية، القائمة على التجارة وأنها ستسعى إلى توسيع نفوذها وسلطانها إلى الأحساء.

ولعل أهم عوامل الصراع، بين الدولة السعودية ونجد والأحساء، يكمن في ما يلي:

أ. **الخلاف المذهبي** بين الدرعية، التي تدعو إلى السلفية، والأحساء التي ينتشر فيها المذهب الشيعي. وانعكس هذا في أمر حاكم الأحساء، سليمان بن محمد بن عريعر، أمير الدرعية، بالتخلص من الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وقد زاد هذا العامل من حدّة الصراع، بمرور الوقت، حينما اكتسبت الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب مزيداً من الأنصار والقوة.

ب. **هروب بعض القبائل النجدية**، المقاومة للنفوذ السعودي، نحو الأحساء، وسعي إمارة الدرعية إلى تأديبهم ومطاردتهم في ملجئهم. وكذلك العون والمساعدة، اللذَين كان يقدمهما حكام الأحساء، بين الفترة والأخرى، إلى القوى المناهضة للنفوذ السعودي؛ كما حدث في مساعدتهم أمراء الوشم وبريدة والخرج والرياض وسدير.

ج. **العامل الاقتصادي**، كان محركاً أساسياً للحملات السعودية على الأحساء، نظراً إلى توسع رقعة الدولة، وزيادة الأعباء على بيت المال، وحاجتها إلى زيادة مواردها، للإنفاق على مقاتليها، وعلى أوجه عديدة. فالأحساء، الغنية بالمياه وبالمزارع وبساتين النخيل، وبحركة تجارية واسعة، عبر موانيها على الخليج. كانت مطمحاً لكل القبائل النجدية، والقوى السياسية فيها.

لذا، بدأ التصادم بين النفوذ السعودي وحكم بني خالد، مبكراً. فأول اصطدام وقع بين إمارة الدرعية وبني خالد، بدأ في عهد الإمام محمد بن سعود، وفي عهد حاكم الأحساء، سليمان بن محمد. وكان سليمان بن محمد، وقتذاك، من أصحاب النفوذ الواسع في المنطقة. وكان في مقدوره أن يؤثر في الأحداث فيها. إلا أن سليمان، كان له منافسون أقوياء، في الداخل، من زعماء بني خالد، مثل دجين بن سعدون ومنيع بن سعدون. وانتهت هذه المنافسة بطرد سليمان من الأحساء، إلى الخرج، حيث توفي، وخلفه في الحكم عريعر بن دجين.

ولم تكن للحكم السعودي، في بدايته، القدرة على شن غارات على الأحساء؛ فسيطرته غير كاملة على نجد. لذا، اكتفى بصد حملات بني خالد وحلفائهم على البلدان، الواقعة تحت السيطرة السعودية.

ففي سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٩م، بدأ زعيم بني خالد، عريعر بن دجين، يعد العدة لحرب الدرعية، والقضاء على نفوذها، الديني والسياسي. فتحالف مع عدد كبير من أمراء مناطق نجد. فأخذت الدرعية أهبتها، لصد هجماتهم. واتجه عريعر بقواته وحلفائه، صوب الدرعية. ووصل إلى بلدة الجبيلة، في شمال وادي حنيفة. لكن بعض الحلفاء، تخلى عنه، وطلب الصلح مع الدرعية، والخضوع لها. فتصدع الحلف، واضطر عريعر إلى العودة إلى الأحساء، من دون تحقيق أي هدف.

وعلى الرغم من هذا الفشل، الذي مُنِيَ به عريعر، فإنه استنفر بني خالد، في عام ١١٧٨هـ/١٧٦٥م، لحرب الدرعية. وراسل حسن بن هبة الله المكرمي، زعيم نجران، الذي يجمعه هدف مشترك معه، ضد الدرعية. وكذلك دهام بن دواس، أمير الرياض، خصم الدرعية العنيد. وشاركت في هذا الحلف عناصر أخرى، من نجد. واستطاع أمير نجران، أن يوجه ضربة قوية إلى قوات الدرعية، ويلحق بها هزيمة، هددت الدولة الناشئة بالسقوط. ولكن الإمام محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، استطاعا تلافي الخسارة، بعقد صلح مع أمير نجران، ومنعاه من مواصلة هجماته على الدرعية. ولما وصلت قوات عريعر بن دجين قريباً من الدرعية، كان الصلح قد تم بين الدرعية وصاحب نجران. وعلى الرغم من استياء عريعر من عمل حسن بن هبة الله، فإنه حاصر الدرعية، بقواته وبالقوات المتحالفة معه، لمدة شهر. واضطر إلى فك الحصار، بعد خروج القوات السعودية، بقيادة عبدالعزيز بن محمد بن سعود، إلى خارج البلدة، والاشتباك مع قواته. ورحل عريعر إلى الأحساء، مخلفاً أربعين قتيلاً من رجاله.

ولما تولى الحكم عبدالعزيز بن محمد بن سعود، سير الحملات، بقيادة ابنه، سعود، نحو الحدود النجدية مع العراق والأحساء. وأدرك عريعر بن دجين، أن الخطر يحيق بإقليم الأحساء. فقرر أن يقوم بعمليات عسكرية، ضد الدرعية، محاولة منه لإبعاد هذا الخطر عن بلاده.

ففي ربيع ١١٨٨هـ/١٧٧٤م، شن عريعر هجوماً عاصفاً على منطقة القصيم، وركز هجومه في بلدة بريدة. ونجح في إقصاء أميرها، عبدالله بن حسن، وأسرته، الموالين للدرعية. وعين عليها راشد الدريبي،

المناهض لآل سعود. وتشجع عريعر على مهاجمة الدرعية نفسها. إلا أنه توفي في الخابية، قرب النبقية، بعد شهرَين من انسحابه من بريدة.

ويعتبر موت هذا الزعيم من زعماء بني خالد، الحد الفاصل بين فترتَي القوة والضعف، في تاريخ بني خالد. إذ دب النزاع، بعده، بين أفراد الأسرة الحاكمة، وأدى إلى ضعف أمرائها وعدم سيطرتهم على أمور الجند والحكم في بلادهم.

وتولى، بعده، ابنه الأكبر، بطين، ولقي حتفه، مخنوقاً، في بيته، على يد أخوَيه، دجين وسعدون، ليخلفه دجين. وما لبث سعدون أن دس له السم، ليخلص له الحكم.

وكثف سعدون بن عريعر، في الأعوام التالية، من نشاطه ضد الدولة السعودية، ليحول دون قيام دولة قوية في نجد، ومؤملاً، من وراء ذلك، أيضاً، استعادة مكانة أسرته، أمام سكان الأحساء، بعد الضعف الذي حل بها، خاصة مع كثرة الفتن التي انتابتها.

ففي عام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م، تحالف مع زيد بن زامل الديلمي، أمير الخرج، للقيام بأعمال عسكرية ضد الدرعية. وفي عام ١١٩٣هـ/١٧٧٩م، حاول سعدون، أن يحرض بعض البلدان النجدية، ضد نفوذ الدرعية، بالتحالف مع حرمة والزلفي. وهاجموا بلدة المجمعة، التي كانت تمثل مركز الحماسة للحكم السعودي. ولكن هذه الحملة، فشلت.

وفي عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨١م، قدّم سعدون مساعداته العسكرية إلى أهل الدلم، ضد الحامية السعودية، الموجودة في حصن "البدع" السعودي. كما سار، في عام ١١٩٧هـ/١٧٨٣م، بقواته، إلى منطقة القصيم، لمساعدة أهلها، ضد بريدة، الموالية لآل سعود. إلا أن جميع هذه المحاولات، لم تنجح في تحقيق أهدافها.

ورداً على العداء السافر من بني خالد لآل سعود، بدأت العمليات العسكرية السعودية، ضد الأحساء، على يد الإمام سعود بن عبدالعزيز، حينما سار، بقواته، في عام ١١٩٨هـ/١٧٨٤م، حتى وصل قرية العيون، في الأحساء. فغنم جيشه الغنائم الكثيرة، وقفل راجعاً إلى بلاده.

وفي عام ١١٩٩هـ/١٧٨٥م، واصل الإمام سعود عملياته الاستفزازية، ضد الأحساء. فاعترض قافلة لأهل الخرج، قادمة من الأحساء، فسلبها، وقتل رجالها. وكل هذه العمليات، كانت من قبيل الاستطلاع العسكري لقوة العدو.

ولما تفاقم الصراع داخل أسرة بني خالد، هُزم سعدون بن عريعر. هزمه زعماء أسرته، الذين استنجدوا بشيخ المنتفق، ثويني بن عبدالله. فلجأ سعدون إلى الدرعية. واستفاد الإمام عبدالعزيز بن محمد من الوضع

المتردي في الأحساء، وأصدر أمره إلى قائده، سليمان بن عفيصان، بمهاجمتهما. فغزا بلدة الجشة، ثم ميناء العقير، وأشعل النيران فيه، بعد أن استولى على ما فيه من أموال.

وفي عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، جرت موقعة غريميل (جبل صغير، تحته ماء، قرب الأحساء) حيث التقت القوات السعودية، بقيادة الإمام سعود بن عبدالعزيز، قوات بني خالد، بقيادة عبد المحسن بن سرداح، وابن أخته، دويحس بن عريعر. وبعد نزال، استمر ثلاثة أيام، انهزم جيش بني خالد. وهرب عبد المحسن إلى المنتفق، وغنم الجيش السعودي غنائم كثيرة. واستعمل الإمام سعود زيد بن عريعر، أميراً على بني خالد.

وفي عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م، تحرك الإمام سعود، بقواته، غازياً القطيف. وحاصر "سيهات"، وأخذها عنوة. ثم احتل بلدة "عنك". وقتل زيد بن عريعر، وإخوته، ورئيسَ بني خالد، عبد المحسن بن سرداح، بعد أن وعدوه بالأمان، فعاد إلى الأحساء من المنتفق، التي فرّ إليها، بعد وقعة "الغريميل"، فقتلوه في مجلسهم.

وظل الوضع العسكري كذلك، حتى عام ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م. وقد توحدت أغلب بلدان نجد، تحت الحكم السعودي. فقويت شوكته وتعززت. وفي المقابل، ساءت الأحوال في الأحساء، التي آلت الأمور فيها إلى براك بن عبد المحسن بن سرداح. فسار الجيس السعودي نحو الأحساء، واشتبك مع أهلها في معارك عدة. وانكسر براك بن عبد المحسن، وجيشه، في معركة "الشيط"، شرقي "اللصافة". ودخل، على إثرها، الإمام سعود بن عبدالعزيز، بقواته، الأحساء. وبايعه أهلها على السمع والطاعة. وافتتح المساجد، وأقام العلماء لتدريس التوحيد وأصول الإسلام وشروطه. وفي الأحساء، أمر الإمام سعود بهدم القباب والأضرحة، ومظاهر الشرك. وعين محمد بن سليمان أميراً على القوات السعودية في الأحساء، ومحمد الحملي أميراً إدارياً في المنطقة. وعين حسين أبو سبيت مسؤولاً عن بيت المال في الإقليم.

لكن الأهالي في الأحساء، نقضوا العهد بعد عودة الإمام سعود إلى الدرعية. وقتلوا الأمير الإداري، محمد الحملي، وكذلك مدير بيت المال والوعاظ. وقدم زيد بن عريعر، وتزعم ثورتهم ضد الحكم السعودي.

وأرسلت الدولة، رداً على هذا العصيان، قوات ضخمة، بقيادة الإمام سعود، عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م. فهاجم بلدة الشقيق واحتلها. ثم دخل بلدة القرين، ثم المبرز، وألحق الهزيمة بزيد بن عريعر. ثم نازل أهل الجبيل. وفي هذه الأثناء، عاد برّاك بن عبد المحسن، من المنتفق، وانضم إلى الإمام سعود، مناوئاً لخصمه زيد بن عريعر. وتوجه برّاك بنفسه إلى الدرعية، ليطلب من الإمام عبدالعزيز بن محمد الأمان لأهل الأحساء، فأجيب إلى طلبه، وانسحب الجيش السعودي، بعد أن بايعوا على السمع والطاعة.

وعلى الرغم من انقسام أهل المنطقة، بين مؤيد للدولة ومعارض، فقد تمكن برّاك بن عبد المحسن من فرض سيطرته على البلاد، بمساعدة النجدة السعودية، التي وصلته، بقيادة إبراهيم بن عفيصان. وانهزم أولاد

عريعر من الأحساء. وصار برّاك نائباً فيها عن الأمير عبدالعزيز بن محمد. وزالت عنها ولاية آل حُميد، زعماء بني خالد عام ١٢٠٨هـ، بزوال ولاية زيد بن عريعر.

وقد ثار أهل الأحساء، بتحريض من براك بن عبد المحسن نفسه. ولكن قضت على ثورتهم نجدة، قادها إبراهيم بن عفيصان، ثم قوات كبيرة، بقيادة الإمام سعود بن عبدالعزيز، الذي أخضعهم للحكم السعودي. وسميت بغزوة الرقيّقة، محلة بالهفوف، وذلك في أواخر عام ١٢١٠هـ/١٧٩٦م. وعاد إلى الدرعية، ومعه عدد من زعماء بني خالد. وولى على المنطقة أميراً من عامة أهلها، يدعى ناجم بن دهينيم.

وكان لاستيلاء آل سعود على الأحساء نتائج مهمة منها:

أ. وصول حدود الدولة السعودية إلى الخليج العربي، وامتلاكها موانئ بحرية، مما يمكنها من الاتصال التجاري بالعالم الخارجي، وفتح باب للعمل لأنصارها.

ب. تحقيق ثروة من المحاصيل الزراعية والمواد الغذائية، التي تنتجها مزارع الأحساء الواسعة.

ج. انتشار الدعوة الإصلاحية بين سكان الأحساء، واكتساب أنصار جدد للدعوة، على حساب المذهب الشيعي، الذي كانت له السيادة هناك.

د. مجاورة حدود الدولة السعودية، لحدود الدولة العثمانية، التي تمثلها باشوية بغداد، وما يستتبع ذلك من احتكاك، سياسي وعسكري. وبداية علاقاتها بإمارات الخليج، مثل قطر وعُمان والبحرين والكويت.

هـ. إثارة اهتمام الدول الكبرى، ذات المصالح، التجارية والعسكرية، في الخليج العربي، مثل بريطانيا وإيران.

المصدر :- http://www.muqatel.com/openshare/Behoth/Atrikia51/Saudia1/index.htm